

وإن جناني جاذبٌ بصفائه

وَذُقْتُ كُئُوسَ الْمَوْتِ أَوْ كُنْتُ أَنْصَرُ
سِبَاغِ بِأَرْضِ الْهِنْدِ تَعْوِي وَتَزَارُ
وَقَلَّ صَالِحُ النَّاسِ وَالْعَيْ يُكْثَرُ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ تَمَشِي وَتَعْبُرُ
وَكُلُّ جَهُولٍ فِي الْهَوَى يَتَبَخَّرُ
وَمَا جُهِدْتُمْ إِلَّا لِعَيْشٍ يَوْفَرُ
وَقَدْ سَرَّهْتُمْ بَغْيِي وَفَسَقُ وَمَيْسَرُ
تَمَنَيْتُ لَوْ كَانَ الْوَبَاءُ الْمُتَبَّرُ
أَحَبُّ وَأَوْلَى مِنْ ضَلَالٍ يَدْمُرُ
وَلَكِنْ عَلَى سَيْلِ الشَّقَا لَا نَصْبَرُ
وَأَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَأَبْصُرُ
وَلَوْ لَا مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلٌ أُتَبَّرُ
وَعِنْدِي صُرَاخٌ لَا يَرَاهُ الْمُكْفَرُ
وَلِي كَلِمَاتٌ فِي الصَّلَايَةِ تَقَعُرُ
فِيَأْوِي إِلَى قَوْلِي جَنَانٌ مُطَهَّرُ
وَإِنَّ بَيَانِي فِي الصُّخُورِ يُؤْتَرُ

أرى ظلماتٍ لیتني متُّ قبلها
تهبُّ رياحُ عاصفاتٍ كآتها
أرى الفاسقين المفسدين وزمرهم
أرى عينَ دينِ الله منهم تكدرتُ
أرى الدينَ كالمرضى على الأرضِ راغمًا
وما همُّهم إلا لِحظِّ نفوسهم
نسوا نهجَ دينِ الله حُبثًا وغفلةً
فلما طغى الفسقُ المبيدُ بسيله
فإن هلاكَ الناسِ عندُ أولي النهى
صبرنا على ظلمِ الخلائقِ كلهم
وقد ذابَ قلبي من مصائبِ ديننا
وبثي وحزني قد تجاوزَ حده
وعندي دُموعٌ قد طلعتِ المآقيا
ولي دعواتٌ يصعدنَّ إلى السما
وأعطيتُ تأثيرًا من الله خالقي
وإن جناني جاذبٌ بصفائه

حفرتُ جبالَ النَّفْسِ من قُوَّةِ العُلَى
 وأُعطيتُ رُغْبًا عند صميتي من السَّمَا
 فهذا هو الأمرُ الذي سرَّ مَالِكِي
 إذا كذَّبْتَنِي زُمِرُ أَعْدَاءِ مِلَّتِي
 فريقيُّ من الأحرارِ لا يُنكِرُونَنِي
 وقد زاحموا في كُلِّ أمرٍ أَرَدْتُهُ
 وكيفَ عَصَوْا واللَّهِ لم يُدْرَ سرُّها
 لَزِمْتُ اصْطِبارًا عند جورٍ لِعَامِهِمْ
 وهذا على الإسلامِ إخذى المصائبِ
 فأقسمتُ باللَّهِ الذي جَلَّ شأنُهُ
 وللعَيِّ آنازٌ وللرُّشِدِ مثلُهَا
 تظنُّونَ أَنِّي قد تقوَّلتُ عامدًا
 وكيفَ وإنَّ اللَّهَ أبدى براءتِي
 ويأتِيكَ وعدُ اللَّهِ من حيثَ لا تَرى
 وليسَ لِعَضْبِ الحَقِّ في الدَّهْرِ كاسرٌ
 ومن ذا يُعاديَنِي وربِّي يُحِبُّنِي
 ويعلمُ رَبِّي سرَّ قَلْبِي وسرَّهُمْ
 ولو كُنْتُ مردودَ المَلِيكَ لَضَرَّنِي
 ولكنِّي صافيتُ رَبِّي فجاءَنِي
 فصارَ فُؤادِي مثلَ نَهْرٍ يُفَجِّرُ
 وقولي سِنانٌ أو حُسامٌ مُشَهَّرُ
 وأرسلَنِي صدقًا وحقًّا فأنذِرُ
 فقلتُ أحسَّأوا إنَّ الحَفَايَا ستظهِرُ
 وحزبٌ مِّنَ الأشرارِ آذوا وأنكَرُوا
 فأيدَنِي رَبِّي ففَقَرُوا وأدَبَرُوا
 وكان سَنًا صدقي مِنَ الشَّصَمِ أَظْهَرُ
 وكان الأَقاربُ كالعقاربِ تَأْبَرُ
 يُكذِّبُ مثلي بالهوى ويُكفِّرُ
 على أَنَّهُ يُخزِي العِدا وأَعزِّزُ
 فقومُوا لتفتيشِ العلاماتِ وانظُرُوا
 بمكرٍ وبعضِ الظنِّ إثمٌ ومُنكَرُ
 وجاءَ بآياتٍ تلوحُ وتظهِرُ
 فتعرَّفُهُ عَيْنٌ تُحَدُّ وتُبصِرُ
 ومَن قامَ للتكسيرِ بُخلاً فيكسرُ
 ومن ذا يُرادِينِي إذا اللّهُ يَنْصُرُ
 وكُلُّ خَفِيٍّ عندهُ مُتَحَضِّرُ
 عداوةُ قومٍ كذَّبُونِي وحقَّروا
 مِنَ اللّهِ آياتٌ كما أَنتَ تَنظُرُ

حفرتُ جبالَ النَّفْسِ من قُوَّةِ العُلَى
 وأُعطيتُ رُغْبًا عند صميتي من السَّمَا
 فهذا هو الأمرُ الذي سرَّ مَالِكِي
 إذا كذَّبْتَنِي زُمِرُ أَعْدَاءِ مِلَّتِي
 فريقيُّ من الأحرارِ لا يُنكِرُونَنِي
 وقد زاحموا في كُلِّ أمرٍ أَرَدْتُهُ
 وكيفَ عَصَوْا واللَّهِ لم يُدْرَ سرُّها
 لَزِمْتُ اصْطِبارًا عند جورٍ لِعَامِهِمْ
 وهذا على الإسلامِ إخذى المصائبِ
 فأقسمتُ باللَّهِ الذي جَلَّ شأنُهُ
 وللعَيِّ آنازٌ وللرُّشِدِ مثلُهَا
 تظنُّونَ أَنِّي قد تقوَّلتُ عامدًا
 وكيفَ وإنَّ اللَّهَ أبدى براءتِي
 ويأتِيكَ وعدُ اللَّهِ من حيثَ لا تَرى
 وليسَ لِعَضْبِ الحَقِّ في الدَّهْرِ كاسرٌ
 ومن ذا يُعاديَنِي وربِّي يُحِبُّنِي
 ويعلمُ رَبِّي سرَّ قَلْبِي وسرَّهُمْ
 ولو كُنْتُ مردودَ المَلِيكَ لَضَرَّنِي
 ولكنِّي صافيتُ رَبِّي فجاءَنِي

(الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية ج ١٦ ص ٣٠٣ - ٣٠٥)